رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الزلازل

عِبَر وأحكام

تأليف :
فالح بن جبر الفضلي

الطبعة الأولى
الكويت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الزلازل

عِبَر وأحكام

تأليف :
فالح بن جبر الفضلي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف
١٤٣٩هـ

الطبعة الأولى

الفيصل
دولة الكويت - شرق - شارع الرئيسي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

(والزلازل من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات، والحوادث لها أسباب وحكم فكونها آية يخوف الله بها عباده هي من حكمة ذلك) .

مجموع الفتاوى: (٢٤ / ٢٦٤).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين ، أشهد أن لا إله إلا هو رب الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد..

فإنه من الملاحظ كثرة الزلازل في هذا العصر، ووقوعها في أماكن لم تكن تحصل فيها من قبل، والزلازل قد تكون مدمرة تهلك البشر في لحظات، حيث تسقط عليهم المنازل والمباني وهم غافلون أو نائمون، وقد تقع في البحار والمحيطات فتسبب موجات بحرية هائلة تضرب السواحل لمسافات شاسعة فتدمرها وتغرق ما في اتجاهها.

وقد تكون زلازل خفيفة، فتكون مجرد آيات تحذيرية للمجتمعات لكي يرجعوا إلى ربهم ويتوبوا من غفلتهم وإعراضهم، قبل أن يحل بهم العقاب الماحق، قال تعالى: { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً} [الإسراء:٥٩]،وقال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }(الروم، آية: ٤١).

فالزلازل أيضا سبب لرحمة بعض العباد الذين يستفيدون من تلك التحذيرات ويسارعون إلى الانتباه من غفلتهم، ومن ثم إلى إصلاح أحوالهم وتغيير ما بأنفسهم قال تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد:١١].

قال ابن القيم:

(وقال ابن أبي الدنيا أيضا.. عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة رضي الله عنها ورجل معه فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت إذا استباحوا الزنى وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف غار الله في سمائه فقال تزلزلي بهم فإن تابوا وفزعوا وإلا هدمتها عليهم، قال قلت :يا أم المؤمنين أعذاب لهم قالت بل موعظة ورحمة وبركة للمؤمنين ونكال وعذاب وسخط على الكافرين)[1].

وقال ابن كثير:

(قال قتادة: إن الله يخوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه)[2].

وهي أيضا بلاء على البعض الآخر ممن يتساهل فيها ويعتبرها أمورا طبيعية فقط، وليس لها أسباب معنوية، ولا يرى من ورائها حكما عظيمة ورسائل منبهة، فيستمر في طغيانه وغيه، كما قال تعالى:{وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً } [الإسراء:٦٠وقال:{ أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ } [التوبة:١٢٦].

فأعظم السفه والغي أن ينزل بالإنسان أو المجتمع التحذير أو بداية العقاب؛

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:(١ / ٢٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير: (٥ / ٩١).

ومع ذلك يصر على فسقه ولا يرجع ولا يتوب، ولا ريب أن هذا دليل على قسوة القلب وظلمته الشديدة وطغيانه واستحكام الهوى والشهوة في نفسه، ونذير سوء بخاتمته.

قال ابن القيم:

(والله تعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه وقد ذم سبحانه من لم يتضرع اليه ولم يستكن له وقت البلاء كما قال تعالى: {ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون} والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه والرب تعالى لم يرد من عبده أن يتجلد عليه بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع اليه..)[1].

وإذا استمر الناس على بعدهم عن ربهم وإقبالهم على ملذاتهم وفسقهم؛ جاءهم العذاب الأليم والعقوبة التي لا ترد عن القوم الظالمين.

قال تعالى: {فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف ٩٩]. وقال: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} [المؤمنون : ٧٦].

فالواجب على المؤمن البصير أن يتفكر في الحوادث والآيات التي تمر عليه في حياته؛ فيشاهد العبر من تلك الحوادث ويزداد إيمانا ويقينا، فما كان يعرفه ويؤمن به مما جاء في القرآن الكريم والسنة من أن العقوبة نازلة لا محالة في الظلمين وأن الله يأخذهم بعد أن يرسل لهم الآيات الكونية التحذيرية إذا لم يؤمنوا بآياته الشرعية أو لم

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٣٤.

يعملوا بها.. فإنه الآن يشاهدها واقعة أمامه، وبالتالي يعتبر في نفسه ويحذر من كل آية تأتيه ولا ينتظر أن يؤخذ على غرة كما أخذ غيره من الناس والمجتمعات.

ويحدوه هذا أيضا إلى أن يساهم في تقليل الشر والخبث في مجتمعه بإنكار المنكرات التي هي سبب لتلك العقوبات، ففي حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها: (فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث) رواه البخاري ومسلم.

فالمجتمع كالسفينة التي جمعت العقلاء والسفهاء والمخذلين ، فحين يعمل السفهاء عملا يغرقهم ويغرق من حولهم تجد العقلاء يبادرون للأخذ على أيديهم، بينما المخذلون يحاولون الحيلولة دون ذلك بأسباب واهية وشبهات ضالة، فهم ردء للسفهاء وسبب أيضا للعذاب شاءوا أم أبوا.

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [سورة الأعراف آية : ١٦٥] وقال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال:٢٥].

قال ابن كثير:

(يحذر تعالى عباده المؤمنين { فِتْنَةً } أي: اختبارًا ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع)[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤ / ٣٧).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي:

({ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن)[1].

وقال الشيخ ابن باز:

(وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن المنكرات إذا فشت بين الناس ولم تنكر عمت عقوبتها، قال الله تعالى: { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب })[2].

في هذه الرسالة تذكير بالسنن والواجبات عند وقوع الزلازل، فإن بعض الناس عند حدوث الزلزال يقومون بالنزول إلى الشوارع والبقاء فيها مدة معينة، يقضونها بالأحاديث الجانبية والتصوير ونشر الأخبار ..ألخ . ثم الرجوع الى المنازل وكأن شيئا لم يحدث، ويغفلون عما يجب فعله عند حدوث الزلازل، وكذلك عند حدوث العواصف والغبار الشديد والأمطار الكثيرة المخوفة وعند انتشار الأوبئة والأمراض وغيرها من الآيات .

فهذه الأمور المخوفة لها واجبات وسنن ينبغي فعلها وعدم الغفلة عنها، وكذلك

---

(١) تفسير السعدي: (١ / ٣١٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز: (١٦ / ٣٤١).

هناك حكم عظيمة وفوائد جليلة ينبغي استحضارها والتفطن لها عند وقوع مثل تلك الآيات، ومن كان له فكرة كان له في كل شيء عبرة، فكيف بمثل تلك الآيات العظيمة والتغيرات العجيبة .نسأل الله أن يحفظ البلاد والعباد وأن يكفينا شر العقاب.

كتبه: فالح الفضلي.

التمهيد

ويحتوي على مطلبَين:

المطلب الأول: الحكمة من الآلام والابتلاءات في الدنيا.

المطلب الثاني: الآلام أقل من العافية.

المطلب الأول: الحكمة من الآلام والابتلاءات في الدنيا:

لا بد أن يعلم المسلم أن ما يقدره الله سبحانه في هذه الدنيا من الآلام؛ كالأمراض والمصائب والمحن وكذلك الزلازل والحروب والفقر ؛ لها حكم عظيمة وفوائد جمة.

قال ابن القيم:

(..وإذا عرف ذلك فالآلام والمشاق إما إحسان ورحمة وإما عدل وحكمة وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها وإما لدفع ألم هو أصعب منها ..

وقد أحصيت فوائد الأمراض فزادت على مائة فائدة وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بأنواع المكاره، وجعلها جسرا موصلا إليها كما حجب أعظم الآلام بالشهوات واللذات وجعلها جسرا موصلا إليها، ولهذا قالت العقلاء قاطبة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن الراحة لا تنال بالراحة وأن من آثر اللذات فاتته اللذات فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم إذ هي أسباب النعم..فكذلك أنشأ اللذات من الآلام والآلام من اللذات فأعظم اللذات ثمرات الآلام ونتائجها وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها)[1].

وقال :

(قاعدة إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت فتقلع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجل عوض

---

(١) شفاء العليل: ص ٨٨ ،وانظر كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٨/ ٥١٢.

وأفضله وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شاردا عنه وإقباله عليه بعد أن كان نائيا عنه وانطراحه على بابه بعد أن كان معرضا وللوقوف على أبواب غيره متعرضا وكانت البلية في هذا عين النعمة وإن ساءته وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه فربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سببا ما مثله سبب وقوله تعالى في ذلك هو الشفاء والعصمة "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" وإن لم يرده ذلك البلاء إليه بل شرد قلبه عنه ورده إلى الخلق وأنساه ذكر ربه والضراعة إليه والتذلل بين يديه والتوبة والرجوع إليه فهو علامة شقاوته وإرادته الشر به فهذا إذا أقلع عنه البلاء رده إلى حكم طبيعته وسلطان شهوته ومرحه وفرحه فجاءت طبيعته عند القدرة بأنواع الأشر والبطر والإعراض عن شكر المنعم عليه بالسراء كما أعرض عن ذكره والتضرع إليه في الضراء فبلية هذا وبال عليه وعقوبة ونقص في حقه وبلية الأول تطهير له ورحمة وتكميل والله ولي التوفيق)[1].

وقال الشيخ ابن باز:

(..وقال جل وعلا: { وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون } ومعنى بلوناهم : اختبرناهم بالحسنات بالنعم من العز والظهور في الأرض والمال والثروة وغير هذا مما يعتبر من النعم ، والسيئات : يعني المصائب التي تصيب الناس من فقر وحاجة وخوف وحروب وغير ذلك . لعلهم يرجعون المعنى ليرجعوا إلى الحق والصواب ويستقيموا على الهدى ، وقال جل وعلا : { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب } يعني اتقوها بالعمل الصالح

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين: (١ / ٢٥٩).

والاستقامة على طاعة الله والجهاد في سبيله ولزوم الحق)[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين:

(..ولدك حينما يشتكي ويحتاج إلى كي تكويه بالنار؛ فالكي شر، لكن الفعل خير؛ لأنك تريد مصلحته، ثم إن ما يقدره الله لا يكون شرا محضا، بل في محله وزمانه فقط، فإذا أخذ الله الظالم أخذ عزيز مقتدر؛ صار ذلك شرا بالنسبة له، وقد يكون خيرا له من وجه آخر، أما لغيره ممن يتعظ بما صنع الله به، فيكون خيرا، قال تعالى في القرية التي اعتدت في السبت: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ}.. فألم الفقر وألم الجدب وألم المرض وألم فقد الأنفس كله ينقلب إلى لذة إذا كان يعقبه الصلاح، ولهذا قال: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} وكم من أناس طغوا بكثرة المال وزادوا ونسوا الله عز وجل واشتغلوا بالمال، فإذا أصيبوا بفقر؛ رجعوا إلى الله، وعرفوا أنهم ضالون؛ فهذا الشر صار خيرا باعتبار آخر..)[٢]

المطلب الثاني: الآلام أقل من العافية:

كما لا بد أن يعلم المؤمن أن الآلام أقل من العافية، وأن البلايا والمصائب أقل من النعم، وأن المعاطب أقل من السلامة، فالله سبحانه رحيم بعباده لطيف بهم، ورحمته سبقت غضبه.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز: (٦ / ٩٢).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: (٢ / ١٧٥)وانظر شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ: (١ / ٥٥٣).

بل وإن عاقب الإنسان في الدنيا فهي رحمة له _ كما سبق بيانه_، لأنها إما تخفيف عن عذاب الآخرة، أو لمنعه العذاب عنه مطلقا، وإما لأجل أن يرجع إلى ربه إن كان عاصيا، أو أن يؤمن به إن كان كافرا أو ملحدا، وإما لأجل رفع درجته وزيادة له في الخير والاستمرار إن كان صالحا.

قال ابن القيم:

(ومن تأمل هذا الوجود علم أن الخير فيه غالب، وأن الأمراض وإن كثرت فالصحة أكثر منها، واللذات أكثر من الآلام، والعافية أعظم من البلاء، والغرق والحرق والهدم ونحوها وإن كثرت فالسلامة أكثر، ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب، وفوات الخير الغالب شر غالب، ومثال ذلك النار فإن في وجودها منافع كثيرة وفيها مفاسد لكن إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها، وكذلك المطر والرياح والحر والبرد، وبالجملة فعناصر هذا العالم السفلي خيرها ممتزج بشرها، ولكن خيرها غالب وأما العالم العلوي فبريء من ذلك)[1].

وقال:

(..فأين آلام الحيوان من لذته وأين سقمه من صحته وأين جوعه وعطشه من شبعه وريه وتعبه من راحته قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً} ولن يغلب عسر يسرين وهذا لأن الرحمة غلبت الغضب والعفو سبق العقوبة والنعمة تقدمت المحنة والخير في الصفات والأفعال والشر في المفعولات لا في الأفعال

(١) شفاء العليل ص ١٣. وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام: (١٤ / ٢١).

فأوصافه كلها كمال وأفعاله كلها خيرات فإن ألم الحيوان لم يعدم بألمه عافية من ألم هو أشد من ذلك الألم أو تهيئة لقوة وصحة وكمال أو عوضا لا نسبة لذلك الألم إليه بوجه ما فآلام الدنيا جميعها نسبتها إلى لذات الآخرة وخيراتها أقل من نسبة ذرة إلى جبال الدنيا بكثير وكذلك لذات الدنيا جميعها بالنسبة إلى آلام الآخرة والله سبحانه لم يخلق الآلام واللذات سدى ولم يقدرهما عبثا ومن كمال قدرته وحكمته أن جعل كل واحد منهما يثمر الأخرى.

هذا ولوازم الخلقة يستحيل ارتفاعها كما يستحيل ارتفاع الفقر والحاجة والنقص عن المخلوق فلا يكون المخلوق إلا فقيرا محتاجا ناقص العلم والقدرة فلو كان الإنسان وغيره من الحيوان لا يجوع ولا يعطش ولا يتألم في عالم الكون والفساد لم يكن حيوانا ولكانت هذه الدار دار بقاء ولذة مطلقة كاملة والله لم يجعلها كذلك وإنما جعلها دارا ممتزجا ألمها بلذتها وسرورها بأحزانها وغمومها وصحتها بسقمها حكمة منه بالغة)[1].

(١) شفاء العليل ص٨٨، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية:(٨ / ٥١٢).

المبحث الأول:

المطلب الأول: الحكمة من الزلازل الخفيفة.

المطلب الثاني: الحذر من الغرور، والأمن من عذاب الله.

المطلب الثالث: خطورة عدم الخوف من التحذيرات التي ترسل.

المطلب الأول: الحكمة من الزلازل الخفيفة:

الزلازل كالآيات الأخرى التي يخوف الله بها عباده أو يعذبهم بها ، فهي كالحروب والأعاصير والامراض .. بعضها شديد وبعضها _ لاسيما في البداية وقبل العذاب الماحق_ خفيف مجرد تنبيه وتحذير، فهي كجرس الإنذار قبل حلول الكارثة، من أجل الهروب والنجاة، وذلك باللجوء إلى الله وترك معاصيه

قال ابن القيم:

(وقال ابن أبي الدنيا أيضا ..عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة رضي الله عنها ورجل معه فقال لها الرجل يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت: إذا استباحوا الزنى وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف غار الله في سمائه فقال تزلزلي بهم فإن تابوا وفزعوا وإلا هدمتها عليهم قال قلت يا أم المؤمنين أعذاب لهم قالت بل موعظة ورحمة وبركة للمؤمنين ونكال وعذاب وسخط على الكافرين)[1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة:

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } [المؤمنون:٧٦] وقال تعالى: { فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام:٤٣] وقال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} [الأعراف:٧٤].

وعن عائشة رضي الله عنها ؛ أنها قالت: (خسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، فقام فأطال

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: (١/ ٢٦٤).

القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام - وهو دون القيام الأول - ، ثم ركع فأطال الركوع - وهو دون الركوع الأول - ، ثم سجد فأطال السجود ، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف وقد انجلت الشمس ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك ؛ فادعوا الله وكبروا ، وصلوا ، وتصدقوا" . ثم قال : "يا أمة محمد ! والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته. يا أمة محمد! لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"). أخرجه البخاري ومسلم.

قال ابن بطال:

(فيه: أن الإمام يلزمه عند الآيات موعظته للناس ويأمرهم بأعمال البر وينهاهم عن المعاصي، ويذكرهم نقمات الله . وفيه : أن الصدقة والصلاة والاستغفار تكشف النقم ، وترفع العذاب ، ألا ترى قوله (صلى الله عليه وسلم) ، للنساء : (تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار)[1] .

وقال:

(إنما يخوف الله عباده بالآيات ليتقربوا إليه بالأعمال الصالحة كالصلاة والعتق والصدقة)[2].

---

(١) شرح صحيح البخاري: (٣ / ٣٣).

(٢) المرجع السابق: (٣ / ٤٦).

وقال

(قال المهلب: ظهور الزلازل والآيات أيضا وعيد من الله تعالى لأهل الأرض ، قال تعالى : (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) [الإسراء : ٥٩] ، وكذلك قال (صلى الله عليه وسلم) في الرعد : (إنه وعيد شديد لأهل الأرض)[١].

وقال شيخ الإسلام:

(والزلازل من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات، والحوادث لها أسباب وحكم فكونها آية يخوف الله بها عباده هي من حكمة ذلك .

وأما أسبابه: فمن أسبابه انضغاط البخار في جوف الأرض كما ينضغط الريح والماء في المكان الضيق فإذا انضغط طلب مخرجا فيشق ويزلزل ما قرب منه من الأرض)[٢].

وفي الدرر السنية:

(والله تبارك وتعالى: يُري عبيده قدرته عليهم، وعفوه عنهم، لعلهم يرجعون)[٣].

وقال ابن كثير:

(قال قتادة: إن الله خوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يعتبرون ويذكرون

---

(١) المرجع السابق: (٣/ ٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢٤ / ٢٦٤).

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: (١٤/ ٤٩).

ويرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه)[١].

وقال:

(وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا "، يقول تعالى: إن سنتي في خلقي أني إذا آتيتهم ما سألوا، فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة)[٢].

وقال ابن القيم:

(..فتحدث فيها الزلازل العظام فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية والانابة والاقلاع عن معاصيه والتضرع اليه والندم كما قال بعض السلف وقد زلزلت الارض إن ربكم يستعتبكم)[٣].

وقال :

(ومعنى استعتاب الله عبده أن يطلب منه أن يعتبه أي يزيل عتبه عليه بالتوبة والاستغفار والإنابة فإذا أناب إليه رفع عنه عتبة فيكون قد أعتب ربه أي أزال عتبه عليه، والرب تعالى قد استعتبه أي طلب منه أن يعتبه ومن هذا قول ابن مسعود وقد وقعت زلزلة بالكوفة إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه وهذا هو الاستعتاب الذين نفاه سبحانه في الآخرة في قوله: {فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون} أي لا نطلب منهم إزالة عتبنا عليهم فإن إزالته إنما تكون بالتوبة وهي لا تنفع في الآخرة وهذا غير

---

(١) تفسير ابن كثير:(٥ / ٩١).

(٢) المرجع السابق: (٤ / ٢٥٧).

(٣) مفتاح دار السعادة: (١ / ٢٢١).

استعتاب العبد ربه كما في قوله تعالى فإن يصبروا فالنار مثوىٰ لهم وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين فهذا معناه أن يطلبوا إزالة عتبنا عليهم والعفو فماهم من المعتبين أي ما هم ممن يزال العتب عليهم وهذا الاستعتاب ينفع في الدنيا دون الآخرة الوجه)[١].

وقال الشيخ ابن باز:

(..وأمر به وهو سبحانه يخلق ما يشاء من الآيات، ويقدرها تخويفا لعباده وتذكيرا لهم بما يجب عليهم من حقه وتحذيرا لهم من الشرك به ومخالفة أمره وارتكاب نهيه كما قال الله سبحانه : { وما نرسل بالآيات إلا تخويفا } ..)[٢].

المطلب الثاني: الحذر من الغرور، والأمن من عذاب الله:

قال الشيخ صالح آل الشيخ:

(من الفتن التي ذُكرت في هذه السورة وذُكر فيها المخرج من الفتنة؛ الفتنة بالأمن؛ أمن الحرم أمن ما حوله يحصل الأمن سنوات وسنوات وسنوات، فيغتر الناس بأننا لن يصيبنا ما أصاب غيرنا، الزلازل تصيب الآخرين أما أهل الحرم فلا تصيبهم، الموبقات، ضيق المعيشة يصيب الآخرين، النكد يصيب الآخرين أما أهل الحرم فيقولون نحن أبناء الله وأحبَاؤه أو يقولون نحن الخاصة، أو يقولون أو يقولون، قال جل وعلا في بيان هذه الفتنة في آخر السورة { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} [العنكبوت:٦٧] نفس النظر إلى هذا النوع من الإنعام

---

(١) المرجع السابق: (١/ ١٢١).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز: (٩ / ١٤٨).

من الله جل وعلا وألاّ يكون هذا الإنعام سببا للافتتان بهذه النعمة وهذا الرخاء الذي جعل الله جل وعلا أهل مكة فيه زمن النبوة وما شاء الله من الأزمان بعده قالوا { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} ما الغرض من هذا؟ { أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت:٦٧]، أفبالباطل يؤمنون بعد هذا الإنعام؟ يؤمنون بالباطل، بالشرك والكفر، وإنكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإطاعة الشياطين، أو بما هو دون ذلك من المعاصي والموبقات والآثام، وبنعمة الله هم يكفرون، من الذي أنعم؟ الله جل وعلا { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل:٥٣]. إذن من الافتتان الذي قد يصيب الله به بعض العباد كما ذكر في هذه السورة أن يظن العبد أن البلاء إنما هو للآخرين، أما هو فلن يبتلى، فنقص الرزق يكون لفلان من الناس أما هو فلا، المرض يكون لفلان أما هو لا، الإصابة بالأمراض الشديدة -أجارنا الله وإياكم منها- إنما يصاب به الآخرون أما هو فصاحب صحة وعافية، السكتة، الغضب، إلى آخره، يصاب به الآخرون أما هو لا يتذكر، قال جل وعلا في بيان هذا المثال { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}.هذه أمثلة من أنواع الافتتان وأنواع البلاء)[1].

المطلب الثالث: خطورة عدم الخوف من التحذيرات التي ترسل:

وهذا من أعظم المخاطر على المجتمع؛ وهو أن يتبلد إحساس الناس ولا

---

(١)محاضرات ورسائل الشيخ صالح آل الشيخ: (٧/ ١٦٢).

يفكرون في تلك الرسائل التي ترسل إليهم من العزيز الجبار، ولا يخافون من التحذيرات التي ترسل ولا بتلك التحذيرات التي تنبههم.

فتجدهم يعتادون عليها ويستخفون بها، فلا يحصل منهم خوف أو اهتمام أو إنابة.

ولا شك أن هذا نذير شؤم ، وقد تكون قرينة على قرب حلول عقاب الله بهم ـ والعياذ بالله ـ.

قال تعالى: { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً } [الإسراء:٥٩].وقال:{ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً } [الإسراء:٦٠وقال:{ أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ } [التوبة:١٢٦].

فمن الحكم في الآيات التي يرسلها الله سبحانه وتعالى لجوء الناس إليه، وتضرعهم وإنابتهم، قال سبحانه: { فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام:٤٣]

فالاستمرار على معاصي الله مع حدوث الآيات وبعض العقوبات كالقحط والحروب والغلاء والأمراض وغيرها، دليل على ضعف الإيمان، ودليل على مشابهتهم للكفار في قسوة القلب وشدة الجهل واستحكام الهوى والشهوات، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ } ٩٧ وقال تعالى: { قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ } [يونس: (١٠٣)] وقال تعالى: { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون }.

قال ابن القيم:

(والله تعالى يبتلى عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه وقد ذم سبحانه من لم يتضرع إليه ولم يستكن له وقت البلاء كما قال تعالى: {ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون} والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه والرب تعالى لم يرد من عبده أن يتجلد عليه بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع اليه وهو تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ويحب من يشكو ما به اليه وقيل لبعضهم كيف تشتكى إليه ما ليس يخفي عليه فقال ربى يرضى ذل العبد إليه)[1].

وقد يصل الأمر ببعض الناس بسبب شدة غفلته وسفهه؛ وبسبب إدمانه على المعاصي واستحكامها فيه؛ أنه قد يرى ما أصاب صاحبه من العقاب الشديد فلا يمنعه أن يفعل كما فعل، وكذلك قد يشاهد أفراد المجتمع ما حل بجيرانهم من العذاب العظيم من قتل وتشريد وجوع وانتهاك.. ومع ذلك لا يرجعون إلى ربهم، بل قد يزدادون فسقا وبعدا من شرع ربهم والعياذ بالله.

قال ابن القيم:

(.. وقال أبو هريرة رضي الله عنه :"لا تقوم الساعة حتى يمشي الرجلان إلى الأمر يعملانه فيمسخ أحدهما قردا أو خنزيرا فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمضي إلى شأنه ذلك حتى يقضي شهوته وحتى يمشي الرجلان إلى الأمر

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٥٤ .

يعملانه فيخسف بأحدهما فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمشي لشأنه ذلك حتى يقضي شهوته منه".. وقال مالك بن دينار بلغني أن ريحا تكون في آخر الزمان وظلم فيفزع الناس إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا)[١].

وقال القرطبي:

(قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) قال الضحاك: بالجوع. وقيل: بالأمراض والحاجة والجوع. وقيل: بالقتل والجوع. (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ) أي ما خضعوا. (وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) أي ما يخشعون لله عز وجل في الشدائد تصيبهم)[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله_:

(ثم يجب على إخواننا الكويتيين -وعلينا نحن أيضاً- أن نتعظ بما جرى قبل سنتين من أن الله سلط علينا جيراننا الذين يجب أن يكونوا معنا فصاروا علينا، لماذا لا نتعظ؟ وهل نأمن الآن أنه في يوم من الأيام تحصل مثل هذه الكارثة أو أكثر؟ لا يجوز أبداً أن ننسى هذه الكارثة حتى لا يحق علينا قول الله تعالى: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام:٤٤-٤٥] لا يجوز أن نتصف بصفات من قال الله فيهم: { فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام:٤٣])[٣].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١ / ٢٦٦).

(٢) تفسير القرطبي:(١٢ / ١٤٣).

(٣) لقاء الباب المفتوح: (٤٠ / ٢١).

وقال الشيخ ابن جبرين:

(قال تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً [البقرة:٧٤]، وقال تعالى: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ [الحديد:١٦]. فعابهم بأنهم قست قلوبهم، وأبعد القلوب من الله تعالى القلب القاسي، وهو الذي لا يلين لموعظة ولا يتأثر بتذكير ولا يقبل ذكراً، ولا يتأثر بتخويف، وتأتيه الإرشادات والنصائح وهو يصد عن كل ذلك صدوداً، ولا يزيده ذلك الأمر إلا نفوراً، وما ذاك إلا أنه ممتلئ من الانحراف وممتلئ من الشبهات، ولم يبق فيه محل للمواعظ ولا محل للاعتبار ولا لقبول الحق، فكان بذلك قلباً قاسياً لا يلين، وشبه بحجارة أو أشد من الحجارة. وقد ذكر الله أيضاً من أمراض القلوب: الران، الذي ذكره بقوله: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين:١٤]، والران أو الرين: هو الغطاء الذي يحجب القلب عن الاعتبار ويحجبه عن التذكر ولا يصل إليه الخير، ولا شك أن سببه كثرة الذنوب؛ فكلما كثرت الذنوب صارت أغلفة على القلب؛ غلافاً فوق غلاف وغطاء فوق غطاء، إلى أن يشق اختراقها وتعسر تنقيتها وإزالتها! وأشد الأمراض كما ذكر بعض العلماء هو: الإقفال الذي ذكره الله بقوله: أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد:٢٤]، ولا شك أن القفل هو ما يغلق به الباب ويوصد ولا يمكن فتحه إلا بمفتاحه الذي صنع له، فالقلب إذا كان قد أقفل ولم يكن له مايفتح به، فإنه يبقى محجوباً ومحجوزاً لا يصل إليه خير)[1].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين:(٢ / ١٦٠)عن طريق الشاملة.

المبحث الثاني: أهم الذنوب التي تسبب العقوبات .

تمهيد: العقوبات سببها الذنوب.

المطلب الأول: ظهور المعازف والمغنيات وشرب الخمور.

المطلب الثاني: انتشار الربا وكثرة الزنا.

المطلب الثالث: عمل قوم لوط.

المطلب الرابع :الظلم.

المطلب الخامس: الحكم بغير ما أنزل الله.

المطلب السادس: الترف وما يترتب عليه من الاسراف والبطر والفسق.

المطلب السابع: ظهور الزندقة والإلحاد.

المطلب الثامن: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تمهيد: العقوبات سببها الذنوب.

تمهيد: العقوبات سببها الذنوب:

قال سبحانه وتعالى: { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) }. وقال سبحانه وتعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا }(١٦) [سورة الإسراء].

وقال تعالى: { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }((٩٩) [الأعراف].

{ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُون * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ } [الأعراف : ٩٧، ٩٨]. وقال: { أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِين * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } [النحل : ٤٥-٤٧].

قال ابن كثير:

(وقوله: { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } أي: فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم، وأنهم حقيقون بهذا. كما قال تعالى: { وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً [وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا] خَامِدِين } (٣) [الأنبياء : ١١-١٥].

وقال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: "ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم"، حدثنا بذلك ابن حُمَيْد، حدثنا جرير، عن أبي سِنان، عن عبد الملك بن مَيْسَرة الزرّاد قال: قال عبد الله بن مسعود [رضي الله عنه] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم". قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذاك؟ قال: فقرأ هذه الآية: { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }(١).

وفي "الصحيحين" عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنّ الله ليملي للظّالم حتّى إذا أخذه لم يفلتّه)) قال: ثمّ قرأ: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إنّ أخذه أليم شديد}.

قال شيخ الإسلام:

(ولهذا قال تعالى : { فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون } { فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا } أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا فحقهم عند مجيء البأس التضرع وقال تعالى : { ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون } قال عمر بن عبد العزيز : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة)(٢).

وقال ابن باز:

(وكل ما يحدث في الوجود من الزلازل وغيرها مما يضر العباد ويسبب لهم أنواعا

---

(١) تفسير ابن كثير:(٣ / ٣٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى: (٨ / ١٦٣).

من الأذى ، كله بأسباب الشرك والمعاصي ، كما قال الله عز وجل : { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } وقال تعالى : { ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك } ..فالواجب على جميع المكلفين من المسلمين وغيرهم ، التوبة إلى الله سبحانه ، والاستقامة على دينه ، والحذر من كل ما نهى عنه من الشرك والمعاصي ، حتى تحصل لهم العافية والنجاة في الدنيا والآخرة من جميع الشرور ، وحتى يدفع الله عنهم كل بلاء ، ويمنحهم كل خير)[1].

وقال:

(وكل ما أصابه من مرض أو مصيبة أو فقر أو جدب أو تسليط عدو أو غير ذلك من المصائب، فهو بسبب الذنوب والمعاصي، فجميع ما في الدنيا والآخرة من العذاب والآلام وأسبابها : فسببه معصية الله ، ومخالفة أمره ، والتهاون في حقه)[2].

وقد ورد ذكر لبعض الذنوب التي تسبب عقوبات عظيمة _ بعد الكفر والشرك_ وعلى وجه الخصوص الزلازل، منها:

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ عبدالعزيز بن باز: (٩ / ١٤٩).

(٢) المرجع السابق: (٢ / ١٥٢).

المطلب الأول: ظهور المعازف والمغنيات وشرب الخمور:

قال ابن القيم:

(وأما حديث عائشة رضي الله عنها فقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا أبو معشر عن محمد بن المنكدر عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف قالت عائشة يا رسول الله وهم يقولون لا إله إلا الله فقال إذا ظهرت القينات [١] وظهر الزنى وشربت الخمر ولبس الحرير كان ذا عند ذا)[٢].

وقال:

(..وأما حديث علي فقال ابن أبي الدنيا أيضا حدثنا الربيع بن تغلب حدثنا فرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل يا رسول الله وما هن قال إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان ولعن آخر هذه الآمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا .

حدثنا عبدالجبار بن عاصم قال حدثنا أبو طالب قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبدالرحمن التميمي عن عباد بن أبي علي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله

---

(١) قال ابن حجر:(القينات جمع قينة وهي المغنية) فتح الباري:(٧ / ٢٥).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١ / ٢٦٤).

عليه و سلم أنه قال تمسخ طائفة من أمتي قردة وطائفة خنازير ويخسف بطائفة ويرسل على طائفة الريح العقيم بأنهم شربوا الخمر ولبسوا الحرير واتخذوا القيان وضربوا بالدفوف وأما حديث أنس رضي الله عنه فقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو عمرو هرون بن عمر القرشي حدثنا الخصيب بن كثير عن أبي بكر الهذلي عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه و سلم ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذاك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف .. قال إذا تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء ورغبت العرب في آنية العجم فعند ذلك قلت له العرب خاصة قال لا بل أهل القبلة ثم قال والله ليقذفن رجال من السماء بحجارة يشدخون بها في طرقهم وقبائلهم كما فعل بقوم لوط وليمسخن آخرون قردة وخنازير كما فعل ببني إسرائيل وليخسفن بقوم كما خسف بقارون).

وقال:

(وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء وشاربي الخمر وفي بعضها مطلق..

إذا عرف هذا فأحق الناس بالمسخ هؤلاء الذين ذكروا في هذه الأحاديث فهم أسرع الناس مسخا قردة وخنازير لمشابهتهم لهم في الباطن وعقوبات الرب تعالى نعوذ بالله منها جارية على وفق حكمته وعدله ، وقد ذكرنا شبه المغنين والمفتونين بالسماع الشيطاني ونقضناها نقضا وإبطالا في كتابنا الكبير في السماع وذكرنا الفرق بين ما يحركه سماع الأبيات وما يحركه سماع الآيات)[1].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١ / ٢٦٤).

المطلب الثاني: انتشار الربا وكثرة الزنا:

أن انتشار الربا وكثرة الزنا والاستمرار على تلك الكبائر مؤشر على الشر، ومؤذن بحلول العقاب بعد الإملاء الطويل، قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ} [الحج : ٤٨].

وعن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:(ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله - عز وجل)[1].

قال ابن القيم:

(وذكر من حديث سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله عز وجل بهلاكها.

وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوجهه فقال: «يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم» .

---

(١) رواه الإمام أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وفي الدرر السنية:

(والنهي عن المنكر يشمل جميع أنواع المنكرات، من الزنى وغيره من الفواحش والربا؛ وآكل الربا محارب لله ولرسوله، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ}[سورة البقرة آية : ٢٧٨-٢٧٩].

وفي الأثر: ما ظهر الربا والزنا في قرية إلا أذن الله بخرابها؛ ومن أعظم المنكرات: تعاطي المسكرات، واستعمال جميع الملاهي، والاستماع إليها، وبخس المكاييل والموازين، إلى غير ذلك من سائر المنكرات)[١].

المطلب الثالث: عمل قوم لوط:

قال شيخ الإسلام:

(فما كانوا في الجاهلية يعرفون الزنا إلا للإماء، وكذلك اللواط، فأكثر الأمم لم تعرفه ولم يكن يعرف في العرب قط)[٢].

وقال شيخ الإسلام:

(وهذه النجاسة تكون من الشرك والنفاق والفواحش والظلم ونحوها وهي لا تزول إلا بالتوبة عن ترك الفاحشة وغيرها فمن تاب منها فقد تطهر وإلا فهو متنجس وإن اغتسل بالماء من الجنابة فذاك الغسل يرفع حدث الجنابة ولا يرفع عنه نجاسة

---

(١) الدرر السنية في الكتب النجدية: (٢٠ / ٤٧٨).

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية: (١ / ١٧٨).

الفاحشة التي قد تنجس بها قلبه وباطنه ؛ فإن تلك نجاسة لا يرفعها الاغتسال بالماء وإنما يرفعها الاغتسال بماء التوبة النصوح المستمرة إلى الممات . وهذا معنى ما رواه ابن أبي الدنيا وغيره : ثنا سويد بن سعيد ثنا مسلم بن خالد عن إسماعيل بن كثير عن مجاهد قال : لو أن الذي يعمل - يعني عمل قوم لوط - اغتسل بكل قطرة في السماء وكل قطرة في الأرض لم يزل نجسا . ورواه ابن الجوزي وروى القاسم بن خلف في " كتاب ذم اللواط " بإسناده عن الفضيل بن عياض أنه قال : لو أن لوطيا اغتسل بكل قطرة نزلت من السماء للقي الله غير طاهر.. وكذلك روي عن { أبي هريرة وابن عباس قالا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في خطبته : من نكح امرأة في دبرها أو غلاما أو رجلا : حشر يوم القيامة أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخله الله نار جهنم ويحبط الله عمله ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ويجعل في تابوت من نار ويسمر عليه بمسامير من حديد فتشك تلك المسامير في وجهه وجسده } قال أبو هريرة : هذا لمن لم يتب وذلك أن تارك اللواط متطهر كما دل عليه القرآن ففاعله غير متطهر من ذلك فيكون متنجسا ؛ فإن ضد الطهارة النجاسة)[1].

وقال ابن القيم:

(..وهو والله الداء العضال، والسم القتال ، الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى خلاصه من إساره ، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

وهو أقسام :

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٥ / ٣٨٥).

تارة يكون كفرا : لمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله ، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه ؟ فهذا عشق لا يغفر لصاحبه ، فإنه من أعظم الشرك ، والله لا يغفر أن يشرك به ، وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك ..)[1].

وقال:

(..ولم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحدا من العالمين ، وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحدا غيرهم ، وجمع عليهم من أنواع العقوبات بين الإهلاك ، وقلب ديارهم عليهم ، والخسف بهم ، ورجمهم بالحجارة من السماء ، فنكل بهم نكالا لم ينكله أمة سواهم ، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عملت عليها ، وتهرب الملائكة إلى أقطار السماوات والأرض إذا شاهدوها ، خشية نزول العذاب على أهلها ، فيصيبهم معهم ، وتعج الأرض إلى ربها تبارك وتعالى ، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها ، وقتل المفعول به خير له من وطئه ، فإنه إذا وطئه قتله قتلا لا ترجى الحياة معه بخلاف قتله فإنه مظلوم شهيد ، وربما ينتفع به في آخرته ..)

وقال:

(..وإذا بديارهم قد اقتلعت من أصلها، ورفعت نحو السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ونهيق الحمير ، فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل، إلى عبده ورسوله جبرائيل ، بأن قلبها عليهم كما أخبر به في محكم التنزيل ، فقال عز من قائل : فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل [

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

سورة هود : ٨٢] فجعلهم آية للعالمين وموعظة للمتقين ، ونكالا وسلفا لمن شاركهم في أعمالهم من المجرمين، وجعل ديارهم بطريق السالكين، إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين [سورة الحجر : ٧٥ - ٧٧]

أخذهم على غرة وهم نائمون ، وجاءهم بأسه وهم في سكرتهم يعمهون ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فقلبت تلك اللذة آلاما ، فأصبحوا بها يعذبون .

مآرب كانت في الحياة لأهلها عذابا فصارت في الممات عذابا

ذهبت اللذات وأعقبت الحسرات، وانقضت الشهوات، وأورثت الشقوات، وتمتعوا قليلا، وعذبوا طويلا ، رتعوا مرتعا وخيما فأعقبهم عذابا أليما ، أسكرتهم خمرة تلك الشهوات ، فما استفاقوا منها إلا في ديار المعذبين ، وأرقدتهم تلك الغفلة ، فما استيقظوا منها إلا وهم في منازل الهالكين ، فندموا والله أشد الندامة حين لا ينفع الندم، وبكوا على ما أسلفوه بدل الدموع بالدم ، فلو رأيت الأعلى والأسفل من هذه الطائفة ، والنار تخرج من منافذ وجوههم وأبدانهم وهم بين أطباق الجحيم ، وهم يشربون بدل لذيذ الشراب كؤوس الحميم ، ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون : ذوقوا ما كنتم تكسبون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون [سورة الطور : ١٦]. وقد قرب الله سبحانه مسافة العذاب بين هذه الأمة وبين إخوانهم في العمل ، فقال مخوفا لهم أن يقع الوعيد : وما هي من الظالمين ببعيد [سورة هود : ٨٣]).

وقال الشيخ ابن عثيمين:

(وهذه الفاحشة، فاحشة نكراء لا يقرها عقل، ولا فطرة، ولا دين، ولهذا كانت

عقوبتها الإعدام للفاعل والمفعول به، إذا كانا بالغين عاقلين، سواء كانا محصنين أم غير محصنين، بخلاف الزنا، فهو أهون عقوبة؛ لأن الزنا من لم يكن محصناً فعقوبته أن يجلد مائة جلدة ويغرب عن البلد سنة كاملة، وإن كان محصناً -وهو: الذي قد تزوج وجامع- عقوبته أن يرجم بالحجارة حتى يموت، أما هذا فعقوبته القتل بكل حال، كما جاء في الحديث: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)[1].

وقال:

(وعمل قوم لوط أكبر من الزنا -والعياذ بالله- وأفحش، والدليل على هذا أن الله قال في القرآن: { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً } [الإسراء:٣٢] أي: فاحشة من الفواحش، وأما اللواط فقد قال لوط لقومه: { أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ } [الأعراف:٨٠] أي: الفاحشة العظمى الكبرى، ولهذا دخلت عليها (أل) فكان اللواط أعظم من الزنا، ويدل على هذا أن الله سبحانه وتعالى بعث رسولاً برسالة تامة لينذر من هذه الفعلة الشنيعة، وأن الله أهلك فاعلي هذه الفعلة الشنيعة بصفة عامة، فدل ذلك على أن اللواط أعظم من الزنا، ولهذا يجب على ولي الأمر إذا ثبت اللواط بين اثنين وكلاهما بالغ عاقل، ولم يكره أحد منهما يجب عليه أن يقتلهما امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ودرءاً لهذه المفسدة القبيحة والفاحشة الشنيعة نسأل الله العافية)[2].

---

(١) لقاء الباب المفتوح: (٣/ ١٤٦).

(٢)المرجع السابق: (٤٦ / ١٤).

المطلب الرابع: الظلم:

وهو من أسباب تعجيل العقوبة، سواء كانوا أفرادا أو جماعات، فإذا كان الظالم فردا فإنه عقوبة معجلة في الدنيا قبل الآخرة إذا لم يتدارك نفسه بتوبة صادقة وبإرجاع الحق إلى من ظلمه، سواء كان الظلم ماديا، أو كان ظلما معنويا بالقدح في عرضه أودينه أو الحط من مكانته وبخس شخصيته أو تشويه سمعته والتنفير منه فكل ذلك ظلم عظيم ..ويزداد الأمر سوءا إذا كان بين الأرحام والأقارب.

وكذلك المجتمعات والدول إذا ظلمت أفرادا في المجتمع، أو ظلمت شريحة منه؛ فأخذت حقهم وأذلتهم واستنقصت ما يجب لهم في أموالهم وحقوقهم ومعاملاتهم وضيقت عليهم في شؤون حياتهم.. فإن العقوبة حالة لا محالة، وقد يملي لهم سبحانه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم).

قال شيخ الإسلام:

(وسبب ذلك أن ما كان من الذنوب يتعدى ضرره فاعله عجلت لصاحبه العقوبة في الدنيا تشريعا وتقديرا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "ما من ذنب أحرى أن تعجل لصاحبه العقوبة من البغي وقطيعة الرحم" لأن تأخير عقوبته فساد لأهل الأرض بخلاف ما لا يتعدى ضرره فاعله فإنه قد تؤخر عقوبته وإن كان أعظم كالكفر ونحوه فإذا أقررناهم على الشرك أكثر ما فيه تأخير العقوبة عليه وذلك لا

يستلزم تأخير عقوبة ما يضر بالمسلمين لأنه دونه كما قدمناه)[١].

وقال ابن القيم

(وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم)[٢].

وقال الشيخ ابن باز:

(فقد تعجل عقوبة الباغي الظالم وقاطع الرحم، بسبب جريمته الشنيعة، وقد يمهل الكافر والعاصي لحكمة بالغة. فالواجب على العاقل أن يحذر عقاب الله ، وأن يحذر غضبه دائما ، وأن يحاسب نفسه ، وألا يغتر بمن أمهلوا وأنظروا من كفار أو عصاة ، فإن ربك حكيم عليم في الإمهال والإنظار ، وفي تعجيل العقوبات)[٣].

وقال الشيخ عبدالمحسن العباد:

(يعني: أنه تحصل له عقوبة في الدنيا والآخرة، فيجمع له بين العقوبة الدنيوية والأخروية، حيث يجعل له الله العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة، فيجمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، والضرر الذي يحصل في الدنيا، والضرر الذي يحصل في الآخرة، وهذا يدل على عظم وخطورة شأن البغي وقطيعة الرحم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أن صاحبهما جدير بأن يحصل له هذا وهذا، وأن يجمع له بين هذا وهذا، وهذا يدل على خطورة أمر البغي وقطيعة الرحم)[٤].

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول: (٣/ ٢٤٦).

(٢) بدائع الفوائد: (٢ / ٤٦٤) وانظر التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي: (١ / ٣٠٣).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز: (١٣ / ٥٨).

(٤) شرح سنن أبي داود .

ودعوة المظلوم مستجابة، ففي حديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن قال له صلى الله عليه وسلم:" واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" متفق عليه.

وفي حديث آخر قال - صلى الله عليه وسلم - : "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن، دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده"[1].

قال الذهبي:

(وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : " اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيري " و أنشد بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك و المظلوم منتبه ... يدعو عليك و عين الله لم تنم

و كان بعض السلف يقول: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء و قال أبو هريرة رضي الله عنه : إن الحباري لتموت في وكرها هزالا من ظلم الظالم..

إذا ما الظلوم استوطأ مركبا ... و لج عتوا في قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الزمان و عدله ... سيبدو له ما لم يكن في حسابه

..وقيل لما حبس خالد بن برمك و ولده قال : يا أبتي بعد العز صرنا في القيد و الحبس فقال : يا بني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها و لم يغفل الله عنها وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحدا قط هيبتي رجلا ظلمته و أنا أعلم أن لا ناصر له

---

(١) صحيح الأدب المفرد للألباني:(١ / ١٥).

إلا الله يقول لي : حسبي الله : الله بيني و بينك.

..و أنشدوا شعرا :

تـــوق دعـــا المظلـــوم إن دعـــاءه ... ليرفـع فـوق السـحب ثـم يجـاب

تـوق دعـا مـن لـيس بـين دعائـه ... و بـــين إلـــه العـــالمين حجـــاب

و لا تحســـبن الله مطرحـــا لـــه ... و لا أنـــه يخفـــى عليـــه خطـــاب

فقـــد صـــح أن الله قـــال و عـــزتي ... لأنصـــرن المظلـــوم وهـــو مثـــاب

فمـــن لم يصـــدق ذا الحـــديث فإنـــه ... جهـــول و إلا عقلـــه فمصـــاب

فصل : و من الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها و نفقتها و كسوتها و هو داخل في قوله صلى الله عليه و سلم: " لي الواجد ظلم يحل عرضه و عقوبته".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادي به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ : فلا أنساب بينهم يومئذ و لا يتساءلون ..

و جاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال : إني رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان بل أنت من الظلمة أنفسهم ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة و الخيوط، وقد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال :" أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة " و عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : الجلاوزة و الشرط كلاب النار يوم القيامة الجلاوزة أعوان الظلمة ..

و قد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال :" انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال يا رسول الله : أنصره إذا كان مظلوما فكيف أنصره إذا كان ظالما ؟ قال: تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره "..)[١]

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الله عز وجل يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويزيل الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، قال:

(وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم {ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم} فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة..)[٢].

المطلب الخامس: الحكم بغير ما أنزل الله:

قال الشيخ ابن باز: (وقال عز وجل { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون } { ومن لم يحكم بما أنزل

---

(١) الكبائر: ص ١١٥.

(٢) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ١٤٦).

الله فأولئك هم الفاسقون }

وهذه الآيات تتضمن غاية التحذير والتنفير من الحكم بغير ما أنزل الله، وترشد الأمة حكومة وشعبا إلى أن الواجب على الجميع هو الحكم بما أنزل الله والخضوع له والرضا به ، والحذر مما يخالفه، كما تدل أوضح دلالة على أن حكم الله سبحانه هو أحسن الأحكام وأعدلها ، وأن الحكم بغيره كفر وظلم وفسق وأنه هو حكم الجاهلية الذي جاء شرع الله بإبطاله والنهي عنه، ولا صلاح للمجتمعات ولا سعادة لها ولا أمن ولا استقرار إلا بأن يحكم قادتها شريعة الله..)[1].

وقال:

(وبين تعالى أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب لحلول عقابه، وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين، يقول سبحانه: {وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون } { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون})[2].

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي:

({وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} من هم الذين وعدهم الله بالنصر؟ {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز: (٢ / ٢٥٥)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز : (١ / ٧٦).

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)} [الحج: الآيتان ٤٠، ٤١] أما الذين إذا مكن لهم في الأرض غيروا معالم الدين، وضيّعوا الشرع، ووضعوا المذاهب الهَدَّامَة، وأضاعوا ما في الإسلام من أخلاق، وغَيَّرُوا مَعَالِم الدين، وجاءوا بالفساد والطرق الملحدة المستوردة، هؤلاء ليس عندهم وعد من الله بنصر ألبتّة، ومثالهم مثال العامل الذي عاقده رَجُل ليعمل له فامتنع مِنْ أَنْ يَعْمَل، ثم لما جاء الوقت جاء لصاحب العمل، وقال: أعطني أجرتي. قال: كيف تطلب مني أجرتك وأنت لم تعمل شيئاً؟ أنت رجل مجنون!! فهؤلاء مثل هذا يعصون الله ويناصبونه بالعداء، ويغيّرُون مَعَالِمَ دِينِهِ، ويتحاكمون إلى الطاغوت، ثم يقولون: نحن مؤمنون ينصرنا الله!! هذا جنون وهَوَسٌ وقلب للحقائق، فالمؤمنون الذين ينصرهم الله هم الذين إن مكنهم الله في الأرض أقاموا دينه وشرعه، وعملوا بنور كتابه..)[1].

قال الشيخ صالح الفوزان:

(وبهذا الاستعراض السريع لآداب القاضي ؛ يتبين عدالة القضاء في الإسلام ، وما يكون عليه القضاة من مستوىٰ رفيع مما تعجز كل نظم الأرض عن الإتيان بمثله أو قريب منه ، وصدق الله العظيم : "أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ"

فقبح الله قوما أعرضوا عن هذا الحكم الرباني واستبدلوه بالقانون الشيطاني ، وهؤلاء قد بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ)[2].

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: (٢/ ٥٥٢)عن طريق الشاملة.

(٢) الملخص الفقهي: (٢ / ٦٢٨).

المطلب السادس: الترف وما يترتب عليه من الإسراف والبطر والفسق:

ولقد جاءت آيات كثيرة في ذم الترف والمترفين، لما يترتب عليه من حب الشهوات والكسل عن الواجبات والتعلق بالدنيا أشد التعلق وقسوة القلب وضعف الغيرة على المحارم..ألخ.

قال تعالى: ((واتَّبَعَ الَذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وكَانُوا مُجْرِمِينَ)) هود : ١١٦، وقال: ((وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ)) سبأ:٣٤، وقال: (وذَرْنِي والْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ ومَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) المزمل : ١١

وقال: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا}

وقال: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦] وقال:{وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود: ١١٦] .

وقال: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٤١-٤٦] .

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } [القصص : ٥٨].

قال الشيخ ابن باز:

(وشهوة المال والمآكل والمشارب تفضي إلى الترف والكسل والضعف، وعدم المقاومة لما يعرض للناس مما يضرهم في دينهم ودنياهم، وتفضي إلى الميل إلى السعي للمحرمات.

فإذا رزق الناس المال وقدروا على مطالبهم من هذه الشهوات المحرمة، فالعصمة قليلة، فمن ابتُلي بالمال الكثير، ولا سيما مع قلة العلم، وقلة البصيرة، وقلة العقل الراجح، وقلة الأخيار وصحبة الذين يوجهون إلى الخير، وكثرة المنحرفين، والذين يقودون الناس إلى أسباب الهلاك من هذه الأسباب يعظم الخطر، وتكثر المصائب في الدين، قال جلَّ وعَلا: { وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } [هود:١١٦].

فالترف له عواقب وخيمة، في الملبس، والمأكل، والمشرب، والمركب، والمسكن وغير ذلك، وهو يفضي إلى غايات خطيرة بانتهاك محارم الله، والضعف عن أداء ما أوجب الله، واقتحام الحدود، وعدم المبالاة بخطر العقوبات، وبغضب الله عزَّ وجلَّ، قال سبحانه في كتابه الكريم: { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } [العلق:٦-٧].

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم الدنيا، أن تُبسط عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فَتَنافَسُوها كما تَنافَسُوها، فتهلككم كما أهلكتهم).

فالواجب على كل مؤمن أن يحذر الفتن من الشهوات والشبهات، قال عليه الصلاة والسلام: (يتقارب الزمان، ويفشو الزنا، ويُشرب الخمر، ويقل العلم، ويظهر

الجهل، ويكثر الهرج، قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ قال: القتل القتل) في آخر الزمان تكثر أسباب القتال والفتن، والقتل بغير حق، باب العدوان والظلم، وهذا واقع في نواحي كثيرة من هذه الدنيا.

ومن أسبابه: الظلم والعدوان، وحب المال والجشع في تحصيله وجمعه من الدول والأفراد: - من الدول: الجشع على المال من أنواع المعادن؛ كالبترول وغيره.

ومن الأفراد: كذلك يُفضي بهم إلى السرقات، والخيانات، والغش في المعاملات، وغير هذا من أنواع الضرر والظلم، الذي من أسبابه الجشع على المال والحرص عليه)[1].

المطلب السابع: ظهور الزندقة والإلحاد:

وهذه هي الطامة الكبرى، وأعظم أسباب زوال الدول وهلاك المجتمعات والزلازل والعقوبات المتنوعة، فإذا جاهر المنافقون بكفرهم وأصبحت لهم صولة وجولة؛ فهذا من أعظم أسباب خراب الديار وعقوبة المجتمعات.

قال شيخ الإسلام:

(فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة . فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار. وكان بعض المشايخ يقول: هولاكو -

(١) دروس للشيخ عبد العزيز بن باز:(١٣ / ٣)عن طريق المكتبة الشاملة.

ملك الترك التتار الذي قهر الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال : قتل منهم ألف ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول هو - للمسلمين بمنزلة بخت نصر لبني إسرائيل . وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع)[١].

ولهذا يجب مكافحة هؤلاء الفجرة بأشد من مكافحة السرطان، فهم وباء عظيم يقضي على المجتمع كما يقضي السرطان على الجسد إذا لم يتدارك بالاستئصال.

قال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ:

(ويعلم جميع المشائخ الفضلاء أننا مغزوون في عقر دارنا من "صفين" من الناس: أحدهما أعداء الدين العداوة المحضة والصادون عن سبيل الله صداً بيناً صراحاً، والقسم الثاني من يتسمون بديننا وينتسبون إليه وهم في الحقيقة أعداؤه والساعون في هدمه من أصله، ولم يصل العدو الصريح من الإفرنج إلى ما وصلوا إليه من أغراضهم ولا نالوا ما نالوه من المسلمين إلا بسببهم، فهم أعظم شيء ضرراً على الدين، وعند بعضهم من النفاق الاعتقادي النصيب الوافر، وعند بعضهم من الإلحاد ما أخرجهم من الدين، وكل محنة وكل سوء يكاد به الإسلام بكل بلية من البلايا لم يصب بها المسلمون إلا من قبلهم، والواقع أصدق شاهد)[٢]

وقال الشيخ صالح الفوزان عنهم:

(.. وتفوح منهم روائح الكفر، فهؤلاء يجاهدون باللسان وذلك بالرد عليهم

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٣ / ١٧٩).

(٢) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ:(١٣ / ٢٠٩).

وإبطال شبهاتهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم والرد عليهم ..)[١]

وقال الشيخ ابن باز:

(ونظرا إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان، وغير ذلك من الدعوات المضللة، نظرا إلى هذا فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضا عاما، وواجبا على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة والخطابة، وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وأن لا يتقاعسوا عن ذلك، أو يتكلوا على زيد أو عمرو، فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك، والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل، ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة، للصد عن سبيل الله والتشكيك في دينه، ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله عز وجل، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط الملحد بنشاط إسلامي، وبدعوة إسلامية على شتى المستويات، وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله)[٢].

المطلب الثامن: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا من أعظم أسباب زوال النعم وحلول النقم، وإلا فوجود المعاصي في

---

(١) شرح كتاب العبودية ص٦٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز:(١ / ٣٣٣).

المجتمع أمر واقع لا محالة، ولكن المصيبة العظمى إذا كثرت وأصبح بعضها ظاهرا، وإذا ضعف إنكارها حتى أصبحت واقعا ملموسا تمارس بشكل علني معتاد.

وقد تظاهرت الأدلة وأقوال العلماء في تقرير هذا الأصل، قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الآية [سورة المائدة آية: ٧٨-٧٩].

وعن الشعبي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر : يا أيها الناس خذوا على أيدي سفهائكم ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن قوما ركبوا البحر في سفينة ، فاقتسموها ، فأصاب كل واحد مكانا ، فأخذ رجل منهم الفأس ،فنقر مكانه، فقالوا : ما تصنع ؟ قال : مكاني أصنع به ما شئت ، فإن أخذوا على يديه ، نجوا ونجا ، وإن تركوه ، غرق وغرقوا).

قال ابن رجب:

(كما في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا فلا يغيروا، إلا يوشك الله أن يعمهم بعقاب» خرجه أبو داود بهذا اللفظ، وقال: قال شعبة فيه: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله» ، وخرج أيضا من حديث جرير سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون أن يغيروا عليه فلا يغيرون، إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا».وخرجه الإمام أحمد ولفظه: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر

ممن يعمله، فلم يغيروه، إلا عمهم الله بعقاب»، وخرج أيضا من حديث عدي بن عميرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة..)[١].

قال شيخ الإسلام:

(ولهذا قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فإن الظالم يظلم فيبتلى الناس بفتنة تصيب من لم يظلم فيعجز عن ردها حينئذ بخلاف ما لو منع الظالم ابتداء فإنه كان يزول سبب الفتنة)[٢].

وقال:

(قال تعالى: { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة } أي هذه الفتنة لا تصيب الظالم فقط ؛ بل تصيب الظالم والساكت عن نهيه عن الظلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم { إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه } . وصار ذلك سببا لمنعهم كثيرا من الطيبات..)[٣].

وقال:

(ولهذا جاء في الحديث : { أن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة } وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٤٦.

(٢) منهاج السنة النبوية: (٤ / ١٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى:(١٤ / ١٥٨).

الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه } . فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها ؛ بخلاف الباطنة فإن عقوبتها على صاحبها خاصة)[١].

وقال ابن حجر:

(قال ابن بطال هذا الحديث يبين حديث زينب بنت جحش حيث قالت أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث، فيكون إهلاك الجميع عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي قلت الذي يناسب كلامه الأخير حديث أبي بكر الصديق سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان ،وأما حديث بن عمر في الباب وحديث زينب بنت جحش فمتناسبان وقد أخرجه مسلم عقبه ويجمعهما أن الهلاك يعم الطائع مع العاصي)[٢].

وقال ابن بطال:

(قول الله : "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصة "[الأنفال : ٢٥] قال : إن الفتنة إذا عمت هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر . وقد سألت زينب النبي (صلى الله عليه وسلم) عن هذا المعنى فقالت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم إذا كثر الخبث) وفسر العلماء الخبث أولاد الزنا، فإذا ظهرت المعاصي ولم تغير ، وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها ، فإن لم يفعلوا فقد تعرضوا للهلاك، إلا أن الهلاك طهارة

---

(١) مجموع الفتاوى:(٢٨ / ٢٠٥).

(٢) فتح الباري:(١٣ / ٦٠)

للمؤمنين ونقمة على الفاسقين ، وبهذا قال السلف. وروى ابن وهب عن مالك أنه قال : تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها)[١].

وقال القرطبي:

(ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمت هلك الكل. وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها)[٢].

وقال ابن كثير:

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، يحذر تعالى عباده المؤمنين { فِتْنَةً } أي: اختبارًا ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع)[٣].

وقال السعدي:

({ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم

---

(١) شرح صحيح البخاري : (١٠ / ٦)

(٢) تفسير القرطبي : (٧ / ٣٩٢)

(٣)تفسير ابن كثير:(٤ / ٣٧).

مهما أمكن)[١].

وقال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ:

(ومن أكبر الكبائر وأعظم العظائم التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم القيام حولهما بما يشترط ويفتقر إليه في حصوله على الوجه الذي تبرؤ به الذمة ويحصل به المقصود، قال الله تعالى: { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون } وقال صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم")[٢].

وقال الشيخ ابن باز:

(وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن المنكرات إذا فشت بين الناس ولم تنكر عمت عقوبتها، قال الله تعالى: { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب })[٣].

وقال: (..ومتى ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتساكتوا استحقوا المقت من الله واللعنة وحلول العقوبات..)[٤].

---

(١)تفسير السعدي: (١ / ٣١٨).

(٢) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ: (٣ / ١٢٣).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز:(١٦ / ٣٤١).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز: (٣ / ٢٥٧).

المبحث الثالث: ما يجب على المسلم عند حصول الزلازل وغيرها من الآيات .

المطلب الأول: التوبة .

المطلب الثاني: الصدقة.

المطلب الثالث: الدعاء والتضرع والاستغفار.

المطلب الرابع: الصلاة عند حدوث الزلزال.

المطلب الأول: التوبة:

وهي واجبة على العباد، فلا بد من المبادرة الى التوبة سريعا دون تأخير، عند حدوث الزلزال أو الكسوف أو الخسوف، وأي آية مخوفة كالعواصف والأمطار الغزيرة والأوبئة والحروب .

فكل شيء تخافه تهرب منه إلا الله فإنك إن خفته لجأت إليه سبحانه ، كما قال تعالى:{ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الذاريات:٥٠] وقوله سبحانه:{ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ } [التوبة:١١٨].

وكان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم أنه كان يقول:(اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك)، وفي حديث آخر:(لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك).

قال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ:

(ولا شيء يستجلب به الرزق بل وكل خير ويستدفع به كل سوء غير التوبة إليه سبحانه بالرجوع عما يكرهه من المعاصي إلى ما يحبه من الطاعة، بأن يحقق العباد توحيدهم، ويباعدوا جميع ما ينافيه أو ينقصه أو يقدح فيه، ويحافظوا على فرائض دينهم من إقامة الصلوات الخمس في جماعة وأداء الزكاة وغير ذلك من أركان الإسلام وفرائضه العظام كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، ويجتنبوا محارمه من أنواع الفواحش وأجناس المنكرات، والمخدرات، والمفترات، والربا في المعاملات، والخيانة في الأمانات، واستعمال أنواع الملهيات، الصادة عن ذكر الله وعن الصلاة، وكافة المحرمات، فعلى المسلمين عموماً وخصوصاً التوبة إلى ربهم، والتآمر

بالمعروف والتناهي عن المنكر فيما بينهم، وتعاون بعضهم مع بعض فيما يصلح دينهم الذي به صلاح معاشهم، والفوز في معادهم)[١].

وقال ابن باز:

(..وأمر عباده بالتوبة إليه والضراعة إليه عند وقوع المصائب، فقال سبحانه: { يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار } وقال سبحانه : { وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون } وقال سبحانه : { ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون } { فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون } وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده وترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض والجراح والقتال والزلازل والريح والعاصفة وغير ذلك من المصائب ، أن يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون ، وهذا هو معنى قوله سبحانه : { فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا }والمعنى هلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا . ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار فقال عز وجل: { ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون }

وقد ثبت عن الخليفة الراشد - رحمه الله- أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه كتب إلى عماله في البلدان وأمرهم أن يأمروا المسلمين بالتوبة إلى

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ: (١٣/ ١٨٤).

الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم .

..ولا شك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم الله عليهم، والبدار إلى طاعته وتحكيم شريعته والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه ، ومتى تاب العباد إلى ربهم وتضرعوا إليه، وسارعوا إلى ما يرضيه ، { وتعاونوا على البر والتقوى } وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، أصلح الله أحوالهم ، وكفاهم شر أعدائهم ، ومكن لهم في الأرض، ونصرهم على عدوهم ، وأسبغ عليهم نعمه وصرف عنهم نقمه ، ..أما من أعرض عن طاعته وتكبر عن أداء حقه وأصر على كفره وعصيانه ، فقد توعده سبحانه بأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره، كما قال سبحانه : { فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون } { فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين }

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه ، وبادروا إلى طاعته ، واحذروا معصيته ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ، وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت ، وارحموا ضعفاءكم ، وواسوا فقراءكم ، وأكثروا من ذكر الله واستغفاره ، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون ، واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي ، والله يتوب على التائبين ، ويرحم المحسنين)[1] .

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز:(٢ / ١٢٨).

وفي الدرر السنية:

(وقد رأيتم ما حصل عليكم من منع القطر، وغور المياه، والقحط، وشدة المؤونة، وأنواع البلايا والامتحانات، وذلك سببه مخالفة أمر الله، وارتكاب نهيه؛ فإن الذنوب والمعاصي من أعظم الموجبات لحلول العقوبات والنقمات.

فارغبوا عباد الله إلى الله، بالدعاء والاستغفار،: {وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سورة النور آية: ٣١] ، وعظموا أمر ربكم ونهيه، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ١. فاستدفعوا عنكم العقوبات بالتوبة النصوح؛ وفي الحديث: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة)[1].

وأخطر ما يقع فيه الشخص تأخير التوبة والتسويف، وإلا فأكثر الناس يحدثون أنفسهم بالتوبة، ولكن المصيبة في التأخير والكسل، حتى يتمادى في الذنوب والغفلة فيضمحل التفكير بالتوبة وينساها ، وقد يكون ذلك عقوبة له على تأخيره.

قال ابن القيم : (ونذكر نبذاً تتعلق بأحكام التوبة تشتد الحاجة إليها ، ولا يليق بالعبد جهلها، منها أن المبادرة إلى التوبة فرض على الفور ، ولا يجوز تأخيرها فمتى أخرها عصى بالتأخير ، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى ، وهي توبته من تأخير التوبة وقلّ أن تخطر هذه ببال التائب ، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر ، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة ، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم ، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: (١٤/ ٣٧١).

يعلمه)[١].

وكثير من الناس يؤخر التوبة إلى ما بعد الزواج أو حتى يتقدم به العمر . لكي ينتهي من جميع الملذات المحرمة، ويجرب جميع المنكرات التي تشتهيها نفسه – والعياذ بالله – ويقول : بعد ذلك أتوب وأصلح حالي . فهو لم يحقق العبودية لله ولم يترك شيئاً من الملذات ونفسه تشتهيها ولم يقلع عن هذه الفواحش مباشرةً خوفاً من ربه ، ولكن حتى تشبع نفسه منها وتعافها ، ولو تركها لله في تلك الحالة حيث تشتاق نفسه إليها ويحتاج إلى مجاهدة وصبر لحاز أعلى الدرجات، وحقق العبودية لله عز وجل .

قال الفضيل بن عياض : (تريد الجنة مع النبيين والصديقين ، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، بأي عمل وأي شهوه تركتها لله عز وجل وكم قريب أبعدته في الله وكم بعيد قربته في الله) .

ثم إنه من الملاحظ أن كثيراً ممن هذا تفكيرهم لا يوفقون إلى توبة، بل يختم لهم بخاتمة سوء ، وقد تصير تلك الذنوب راناً على قلوبهم وطبعاً لا يفارقهم كما قال ابن القيم : (الذنوب جراحات ورب جرح وقع في مقتل)[٢].

وقال ابن رجب : (الإصرار على المعاصي وشعب النفاق من غير توبة يخشى منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية ، والوصول إلى النفاق الخالص ، وإلى سوء الخاتمة ، نعوذ بالله من ذلك، كما قيل إن المعاصي بريد الكفر)[٣].

---

(١) مدارج السالكين : ١/ ٢٨٣ .

(٢)الفوائد ، ص:٦٦ .

(٣)فتح الباري لابن رجب : ١/ ١٨١ .

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله:

(والتوبة واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها ولا التسويف بها، لأن الله أمر بها ورسوله، وأوامر الله ورسوله كلها على الفور والمبادرة لأن العبد لا يدري ماذا يحصل له بالتأخير، فلعله أن يفجأه الموت فلا يستطيع التوبة، ولأن الإصرار على المعصية يوجب قسوة القلب وبعده عن الله عز وجل وضعف إيمانه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان، ولأن الإصرار على المعصية يوجب إلفها والتشبث بها، فإن النفس إذا اعتادت على شيء صعب عليها فراقه وحينئذ يعسر عليه التخلص من معصيته ويفتح عليه الشيطان باب معاص أخرى أكبر وأعظم مما كان عليه. ولذلك قال أهل العلم وأرباب السلوك: إن المعاصي بريد الكفر ينتقل الإنسان فيها مرحلة مرحلة حتى يزيغ عن دينه كله نسأل الله العافية والسلامة)[1].

فتأخير التوبة والتسويف والكسل من أعظم الأخطار على الإنسان، وهي سبب شقاء أعداد هائلة في قبورهم ويوم القيامة ، فلا بد من الحزم والمبادرة وترك الهوى .

قال ابن الجوزي:

(كم خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل، وتمهل في النظر، فيسوفه حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه بالإنابة .. وكم من عازم على الجد سوّفه ، وكم ساعٍ إلى فضيلة ثبّطه ، فلربما عزم الفقيه إعادة درسه فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد من الليل يصلي فقال له : عليك وقت ، ولا يزال يحبب الكسل

---

(١) كتب و رسائل الشيخ للعثيمين (بواسطة الشاملة):(٢٣٨ / ٢١٨).

ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل ، فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم ، والحزم تدارك الوقت وترك التسويف ، والإعراض عن الأمل ، فإنه المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث ، وسبب كل تقصير في خير أو ميل إلى شر : طول الأمل ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " صل صلاة مودع " وقال بعض السلف : أنذركم سوف ، فإنها أكبر جنود إبليس وقال آخر : لا نوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة)[1].

المطلب الثاني: الصدقة:

والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تُطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر" [2].

وهي الآن متيسرة _ ولله الحمد_ فإذا حصل زلزال أو شيء من الكوارث والخوف، فينبغي التصدق على الفقراء مباشرة، أو عن طريق الصرافات والحوالات، وحسابات الجمعيات الخيرية متوفرة وكذلك حسابات الجهات الدعوية.

قال ابن القيم:

(فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ، ولو كانت من فاجر أو ظالم ،بل من كافر، فإن الله يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا معلوم عن الناس خاصتهم

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي: ص٤٨٦ .

(٢) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٨٨٩

وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه)[١].

وفي الدررالسنية:

(ومما يدفع الله به البلاء: الصدقة على الفقراء والمساكين، والإحسان إلى الضعفاء والأيتام)[٢].

وقال الشيخ ابن باز:

(ومن القربات المناسبة في هذا الوقت، وفي كل وقت رحمة الفقراء والمحاويج ، والإحسان إليهم، فإن الصدقة من أعظم الأعمال التي يدفع الله بها البلاء ، وينزل بها الرحمة ، كما قال الله عز وجل: { وأحسنوا إن الله يحب المحسنين وقال تعالى : { إن رحمت الله قريب من المحسنين } وقال سبحانه : { وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون } وقال عز وجل : { آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير } وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:« الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل » ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون } { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } وقال عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وقال صلى الله عليه وسلم : « من لا

---

(١)مقدمة الوابل الصيب .

(٢)الدرر السنية في الأجوبة النجدية :(١٤/ ٣٧١).

يرحم لا يرحم »)[1].

وقد يلبس الشيطان على بعض الناس في هذه الأوقات فيقول لهم أن التصدق في هذه الأوقات والتضرع من النفاق ، ويقول : وأين كنت قبل هذا الوقت!.

قال الشيخ محمد المختار الشنقيطي:

(..فيشرع أن يتصدق الناس لكي يكون ذلك سبباً في رحمة الله بهم، قال تعالى: { فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا }، فقوله تعالى: (فلولا) أي: فهلا. فهي بمثابة الحث، أي: فهلا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا.

فالمشروع أن يتضرع الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى ويتقرب إليه بالصدقة، ولذلك نص بعض أهل العلم رحمة الله عليهم على أنه لا حرج إذا نزلت بالإنسان مصيبة أو ملمة أو كربة أن يتصدق، فإن هذا مشروع لقوله عليه الصلاة والسلام: (فصلوا وادعوا وتصدقوا) ، وقوله في الصحيح: (إن الصدقة تطفئ غضب الرب)، ولما كانت المصائب من غضب الله على العبد، أو من وجود الذنوب من العبد فإنه يشرع أن يطفئ غضب الله عز وجل عليه وسخطه ومقته بالصدقة، وهذا من أفضل ما يرجى، وقد يتصدق على أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره، فيكون سبباً في رحمة الله عز وجل به.

فيشرع أن يتصدق عند حصول مثل هذه الكوارث والمصائب، ولا يعتبر هذا من النفاق، فبعض العوام يظن أنه إذا نزل البلاء لا يتقرب بكثرة الصلاة، حتى إن بعضهم ربما يتعجب، أو يأخذه العجب إذا رأى بعض الأخيار يكثر من الخير، أو رأى

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز: (٣ / ١٥٤).

بعض الأشرار إذا نزلت به المصيبة يتنفل أو يتقرب أو يغير من حالته، ويقول: هذا نفاق.

فهذا خطأ، بل يشرع للإنسان إذا رأى هذه الآيات أن يظهر الذلة لله سبحانه وتعالى، وأن يخشى من عذاب الله عز وجل ومقته، فإنه من قسوة القلوب -نسأل الله السلامة والعافية- أن يبقى الإنسان على غيّه وفجوره مع رؤيته للعذاب، وهذا من الختم على القلوب، ونعوذ بالله أن يختم على قلوبنا، فلذلك يشرع للإنسان أن يبادر بالتوبة.

ولما أراد الله عز وجل أن يعذّب قرية يونس، ورأوا آثار وعلامات العذاب، وقد أنظرهم عليه الصلاة والسلام، فلما رأوا دلائل العذاب فزعوا إلى الله عز وجل، وخرج الرجال والنساء والأطفال، وخرجت معهم بهائمهم، وتضرعوا إلى الله وبكوا حتى رفع الله عنهم العذاب، وكانت القرية التي استثناها الله عز وجل بقوله تعالى: { فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ } [يونس:٩٨] ، فإنهم لما أظهروا لله عز وجل الذلة والخوف والفاقة، وخرجوا رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، وهم يبكون ويتضرعون رحمهم الله عز وجل ونظر إليهم فلطف بهم، فالإنسان إذا أظهر لله عز وجل الذلة والفاقة واسترحم الله فإن الله يرحمه)[1].

(١) شرح زاد المستقنع للشنقيطي(الشاملة).

المطلب الثالث: الدعاء والتضرع والاستغفار:

قال ابن بطال:

(وقد تقدم أن السنة عند نزول الآيات: الاستغفار والذكر والفزع إلى الله تعالى، بالدعاء وإخلاص النيات بالتوبة والإقلاع، وبذلك يكشف الله تعالى، ظاهر العذاب قال الله تعالى: (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون))[١].

وقال شيخ الإسلام:

(ولكن الله قد أمر بالعبادات التي تدفع عنا ما يرسل به من الشر كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عند الخسوف بالصلاة والصدقة والدعاء والاستغفار والعتق وكما كان صلى الله عليه وسلم إذا هبت الريح أقبل وأدبر وتغير وأمر أن يقال عند هبوبها: " { اللهم إنا نسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما أرسلت به } " وقال: " { إن الريح من روح الله وإنها تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوها ؛ ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها } " فأخبر أنها تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب. وأمر أن نسأل الله من خيرها ونعوذ بالله من شرها. فهذه السنة في أسباب الخير والشر: أن يفعل العبد عند أسباب الخير الظاهرة والأعمال الصالحة ما يجلب الله به الخير وعند أسباب الشر الظاهرة من العبادات ما يدفع الله به عنه الشر)[٢].

---

(١) شرح صحيح البخاري: (٣/ ٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣٥/ ١٦٩).

وقال ابن القيم:

(وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول عند الكرب : لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ، ورب الأرض ، ورب العرش الكريم .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : علمني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل بي كرب أن أقول : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين)[1].

وقال الشيخ ابن باز:

(فالواجب عند الزلازل وغيرها من الآيات والكسوف والرياح الشديدة والفياضانات البدار بالتوبة إلى الله سبحانه ، والضراعة إليه وسؤاله العافية ، والإكثار من ذكره واستغفاره « كما قال صلى الله عليه وسلم عند الكسوف : فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره »

ولما أراد الله عز وجل أن يعذّب قرية يونس، ورأوا آثار وعلامات العذاب، وقد أنظرهم عليه الصلاة والسلام، فلما رأوا دلائل العذاب فزعوا إلى الله عز وجل، وخرج الرجال والنساء والأطفال، وخرجت معهم بهائمهم، وتضرعوا إلى الله وبكوا حتى رفع الله عنهم العذاب، وكانت القرية التي استثناها الله عز وجل بقوله تعالى: { فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ } [يونس:٩٨] ، فإنهم لما أظهروا

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي

لله عز وجل الذلة والخوف والفاقة، وخرجوا رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، وهم يبكون ويتضرعون رحمهم الله عز وجل ونظر إليهم فلطف بهم، فالإنسان إذا أظهر لله عز وجل الذلة والفاقة واسترحم الله فإن الله يرحمه)[١].

وهذا ديدن المسلمين إذا حصلت الزلازل، حيث يهرعون إلى الله عز وجل بالدعاء والتضرع والاستغفار، قال ابن كثير:

(..وكان بخط قاضي المدينة أنهم لما زلزلوا دخلوا الحرم وكشفوا رؤوسهم واستغفروا وأن نائب المدينة أعتق جميع مماليكه، وخرج من جميع المظالم، ولم يزالوا مستغفرين حتى سكنت الزلزلة)[٢].

وقال الذهبي:

(فيها كانت الزلزلة المهولة بدمشق دامت ثلاث ساعات. وسقطت الجدران، وهرب الخلق إلى المصلى يجأرون إلى الله)[٣].

المطلب الرابع: الصلاة عند حدوث الزلزال:

هل يصلى للزلازل جماعة كصلاة الكسوف والخسوف، في هذه المسألة خلاف بين العلماء .

قال ابن قدامة:

---

(١) شرح زاد المستقنع للشنقيطي.

(٢) البداية والنهاية: (١٣ / ٢٢٤).

(٣) العبر في خبر من غبر:(١ / ٣٢٥).

(قال أصحابنا يصلى للزلزلة كصلاة الكسوف نص عليه وهو مذهب إسحق وأبي ثور.

قال القاضي ولا يصلى للرجفة والريح الشديدة والظلمة ونحوها، وقال الآمدي يصلى لذلك ولرمي الكواكب والصواعق وكثرة المطر وحكاه عن ابن أبي موسى.

وقال أصحاب الرأي الصلاة لسائر الآيات حسنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم علل الكسوف بأنه من آيات الله يخوف بها عباده، وصلى ابن عباس للزلزلة بالبصرة، رواه سعيد.

وقال مالك والشافعي لا يصلى لشيء من الآيات سوى الكسوف لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل لغيره ولا خلفاؤه، وقد كان في عصره بعض هذه الآيات، ووجه الصلاة للزلزلة فعل ابن عباس، وغيرها لا يصلى له لما ذكرنا والله أعلم)[1].

وفي الموسوعة الفقهية:

(قال الحنفية : تستحب الصلاة في كل فزع : كالريح الشديدة ، والزلزلة ، والظلمة ، والمطر الدائم لكونها من الأفزاع ، والأهوال . وقد روي : أن ابن عباس - رضي الله عنهما - صلى لزلزلة بالبصرة.

وعند الحنابلة : لا يصلى لشيء من ذلك إلا الزلزلة الدائمة ، فيصلى لها كصلاة الكسوف ؛ لفعل ابن عباس - رضي الله عنهما أما غيرها فلم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه الصلاة له . وفي رواية عن أحمد : أنه يصلى لكل آية .

---

(١) الشرح الكبير لابن قدامة: (٢ / ٢٨٣).

وقال الشافعية : لا يصلى لغير الكسوفين صلاة جماعة ، بل يستحب أن يصلى في بيته ، وأن يتضرع إلى الله بالدعاء عند رؤية هذه الآيات ، وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : لا آمر بصلاة جماعة في زلزلة ، ولا ظلمة ، ولا لصواعق ، ولا ريح ، ولا غير ذلك من الآيات ، وآمر بالصلاة منفردين ، كما يصلون منفردين سائر الصلوات .

وقال المالكية : لا يصلى لهذه الآيات مطلقا)[1].

ورجح شيخ الإسلام مشروعية الصلاة للزلزال وكل آية مخوفة، قال:

(ففي الصحاح من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وقد ثبت عنه في الصحاح أنه صلى صلاة الكسوف بركوع زائد في كل ركعة وأنه طولها تطويلا لم يطوله في شيء من صلوات الجماعات وأمر عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء والعتاقة والصدقة والاستغفار وقوله يخوف الله بهما عباده كقوله تعالى وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (سورة الإسراء). ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموما مثل تناثر الكواكب والزلزلة وغير ذلك والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف كالزلزلة والريح العاصف)[2].

وهذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين قال _رحمه الله_:

(القول الأول: ما مشى عليه المؤلف أنه لا يصلى لأي آية تخويف إلا الزلزلة.

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية: (٢٧ / ٢٥٨).

(٢) منهاج السنة النبوية : (٥ / ٣١٠).

وحجة هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت توجد في عهده الرياح العواصف، والأمطار الكثيرة، وغير ذلك مما يكون مخيفا ولم يصل، وأما الزلزلة فدليلهم في ذلك أنه روي عن عبد الله بن عباس ، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ: أنهما كانا يصليان للزلزلة، فتكون حجة الصلاة في الزلزلة هي فعل الصحابة.

القول الثاني: أنه لا يصلى إلا للشمس والقمر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتموهما فصلوا» ، ولا يصلى لغيرهما من آيات التخويف.

وما يروى عن ابن عباس أو علي فإنه ـ إن صح ـ اجتهاد في مقابلة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة للأشياء المخيفة.

القول الثالث: يصلى لكل آية تخويف.

واستدلوا بما يلي:

١ ـ عموم العلة وهي قوله صلى الله عليه وسلم: «إنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده» ، قالوا: فكل آية يكون فيها التخويف، فإنه يصلى لها.

٢ ـ أن الكربة التي تحصل في بعض الآيات أشد من الكربة التي تحصل في الكسوف.

٣ ـ أن ما يروى عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم ـ يدل على أنه لا يقتصر في ذلك على الكسوف وأن كل شيء فيه التخويف فإنه يصلى له.

٤ ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» ، أي: إذا كربه وأهمه؛ وإن كان الحديث ضعيفا لكنه مقتضى قوله تعالى: {واستعينوا بالصبر والصلاة} [البقرة: ٤٥] .

وأما ما ذكر من أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت توجد في عهده العواصف، وقواصف الرعد، فإن هذا لا يدل على ما قلنا؛ لأنه قد تكون هذه رياحا معتادة، والشيء المعتاد لا يخوف وإن كان شديدا، فمثلا في أيام الصيف اعتاد الناس أن الرياح تهب بشدة وتكثر، ولا يعدون هذا شيئا مخيفا.

صحيح أنه أحيانا قد توجد صواعق عظيمة متتابعة تخيف الناس، فهل الصواعق التي وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كهذه؟ لا يستطيع أحد أن يثبت أن هناك صواعق في عهد النبي عليه الصلاة والسلام خرجت عن المعتاد، لكن لو وجدت صواعق عظيمة متتابعة، فإن الناس لا شك سيخافون، وفي هذه الحال يفزعون إلى ربهم ـ عز وجل ـ بالصلاة.

وهذا الأخير هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ له قوة عظيمة. وهذا هو الراجح)[1].

أما الشيخ ابن باز فيرى عدم مشروعية الصلاة للزلازل وقد وجه له سؤال:

(س: هل تشرع صلاة الكسوف عند رؤية الآيات، كالزلازل، والصواعق، والعواصف الشديدة، وبياض الليل، وسواد النهار، والبراكين ونحوها؟.

فأجاب الشيخ فقال: لا أعلم دليلا يعتمد عليه في شرعية الصلاة للزلازل ونحوها، وإنما جاءت السنة الصحيحة بالصلاة والذكر والدعاء والصدقة حين الكسوف، وذهب بعض أهل العلم إلى شرعية صلاة الكسوف للزلزلة، ولا أعلم نصا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك، وإنما ذلك مروي عن ابن عباس رضي

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع :(٥ / ١٩٤).

الله عنهما، وقد علم بالأدلة الشرعية أن العبادات توقيفية لا يشرع منها إلا ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه مسلم في صحيحه عنها رضي الله عنها بلفظ: « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» والمعنى فهو مردود على من أحدثه ، لا يجوز العمل به ، ولا نسبته إلى الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والله الموفق)[١] .

وعلى كل حال فإن الصلاة تشرع للناس منفردين في مثل تلك الحوادث والآيات، كما قال كثير من العلماء.

قال الشافعي:

(ولا آمر بصلاة جماعة في زلزلة ولا ظلمة ولا لصواعق ولا ريح ولا غير ذلك من الآيات وآمر بالصلاة منفردين كما يصلون منفردين سائر الصلوات)[٢].

وقال ابن حجر:

(وفي الحديث استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الشر كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وكان صلى الله عليه و سلم إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة وأمر من رأى في منامه ما يكره أن يصلي وسيأتي ذلك في مواضعه وفيه التسبيح عند رؤية الأشياء المهولة)[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز : (١٣ / ٤٥).

(٢) الأم : (١ / ٢٤٦).

(٣) فتح الباري :(١ / ٢١١).

وقال الشيخ محمد المختار الشنقيطي:

(والصحيح أن هذه الصلاة لا تشرع إلا في الكسوف والخسوف، والزلزلة لا يصلى فيها؛ لأن الأثر عن علي رضي الله عنه ضعيف، فالقول بجواز الصلاة للزلزلة ضعيف، إلا أنه يجوز أن يصلي الناس صلاة عامة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الصحيح من حديث أم المؤمنين عائشة أنه: (كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)، فلو أن الرعود أو الصواعق أصابت الناس أو حدثت الزلزلة فكل إنسان يصلي ويفزع إلى الله عز وجل بالصلاة)[1].

وقال:

(..فالمشروع في مثل هذه الآيات، كالصواعق والرعود التي تزعج وتقلق ويكون فيها شيء من الإعلام وتنبيه الناس أن يتوضأ الإنسان ويصلي، لما ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه : (كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)، وهذا أمر من الأمور، وكذلك في الزلازل فإنه يشرع أن يتوضأ الإنسان ويصلي، وأن يسترحم الله عز وجل، فإذا اقتضت إرادة الله أن يهلك العامة أتاه العذاب وهو تائب إلى الله عز وجل قبل أن تنزل به نقمته، ولذلك يشرع للإنسان أن يستكثر من خصال الخير، وظاهر السنة التنويع، وبعض العلماء يقول: يجمع بين هذه، فيصلي ويتصدق ويدعو.

وقال بعض العلماء: إن هذا يختلف باختلاف الناس، فمنهم من يكون فقيراً ليس عنده مال ففضله في الدعاء؛ لأن دعاء الفقير أرجى في الإجابة لقوله عليه الصلاة

---

(١) شرح زاد المستقنع للشنقيطي – بترقيم الشاملة:(٧٥/ ١٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

والسلام: (رب أشعث أغبر ذي طمرين ...) الحديث؛ لأن الفقير لا تكون منه مظالم في الغالب، وهو أقل كبراً، فرحمة الله عز وجل أقرب إليه، بخلاف الأغنياء، قالوا: فالأغنياء ينبغي عليهم أن يستكثروا من الصدقات؛ لأن أكثر غضب الله عليهم كان بسبب ظلمهم في أموالهم، فيشرع للأغنياء أن يتصدقوا، وللفقراء أن يستكثروا من الدعاء، وللناس عامة أن يصلوا، فهذا اختيار بعض العلماء.

والصحيح أن الأمر للتنويع للجميع، فمن شاء أن يتصدق ولو كان فقيراً فإنه خير وبر، ومن شاء أن يدعو ولو كان فقيراً أو غنياً فإنه خير وبر)[1].

الخاتمة والخلاصة:

أولاً: هذه الزلازل الخفيفة والتي كثرت في الآونة الأخيرة في منطقتنا، ما هي إلا تحذير شديد لنا: أي: احذروا فقد تماديتم فيما يغضب ربكم. وهي وإن كان لها أسباب مادية فلا يعني أنها ليست تحذيراً وغضباً من الجبار، فمن سنن الله أن يجعل لكل شيء سببا، فقد يعاقب الله بعض المجتمعات بالحروب والفقر والمجاعات وهي بلا شك لها أسباب مادية، وقد يعاقب البعض بالأمراض والحوادث وهي كذلك، فلا يلبس علينا المنافقون من العلمانيين والملحدين وضعيفي الأيمان في هذه الناحية..وهم كثيرا ما يحاولون تقليل تأثير مثل تلك الآيات على الناس، فيصرفون نظر الناس إلى الأسباب المادية ويركزون عليها، بل ربما نفوا الزلزال وقالوا هو عبارة عن عمل منشآت حكومية أو تفجير جبل، وغير ذلك مما يصرفون به الأذهان عبر إعلامهم الماكر.

---

(١) شرح زاد المستقنع للشنقيطي - (٧٥/ ١٦)الشاملة.

ثانياً: هي رحمة من الله لعبادة لأنها لم تكن كارثية ، فيستفيد منها من كان فيه خير، فيزداد إيمانا ويقينا ، ويلهى عنها من بلغ فيه السفه حدا عظيما.

ثالثاً: يجب على كل شخص عند حصول الزلزال أن يخاف وأن يظهر هذا الخوف والخشوع لله عز وجل، فالزلزال آية مخوفة من الله فلا تقابل بالضحك واللامبالاة أو الغفلة أو التجلد..

رابعاً: يجب على كل شخص أن يعتبر تلك الرسالة له خاصة، لكي يستفيد منها ويتقوى على نفسه الآمرة بالسوء، ويقول لها : إلى متى الاستمرار على المعصية ؟!إلى متى التمادي في الغفلة، إلى متى التقصير في الطاعات ؟! ماذا بقي بعد تزلزل الأرض بسبب ذنوبي وذنوب من يشابهني ؟! هل أنتظر العقوبة الماحقة فأفاجأ في قبري لوحدي مع المعاصي والبلايا التي فعلتها ولم أتب منها؟!.

خامساً: لا أحد يزكي نفسه ويقول: هذا الزلزال بسبب ذنوب المجتمع والناس وأنا بريء من ذلك، بل كل شخص يتهم نفسه أيضا، فيبادر إلى إصلاح نفسه ويتوب توبة نصوحا سريعة من ذنوبه، سواء كانت تقصيرا في صلاة ، أو في تأخيرها عن وقتها، أو عقوقا لوالديه أو لأحدهما ، أو قطيعة رحم، أو تقصيرا في حقوق الجيران ، أو تناولا لمال حرام ، أو في نظر محرم، أو في حسد وحقد، أو في كبر وعصبية مقيته وازدراء للآخرين من المسلمين والطعن فيهم وعدم محبتهم والتآلف معهم..

سادساً: ينبغي عند حصول الزلازل مع الإسراع إلى التوبة النصوح؛ أيضا التصدق بمبلغ من المال، والأفضل أن يتصدق كل قادر بمبلغ كبير، فالجميع يهب هبة واحدة لدفع عذاب الله بما يستطيع.

سابعاً: ينبغي عند حدوث الزلازل كثرة الذكر والاستغفار والدعاء ، وأن يلهج الجميع بذلك ويجأرون إلى الله عز وجل..

ثامناً: ينبغي أيضا الفزع إلى الصلاة، فكل شخص يتوضأ ويصلي ما كتب الله له، يكثر فيها من التوبة والدعاء والاستغفار، ولا مانع من تنويع العبادات المطلوبة في تلك الحالة والقيام بها جميعا، وكذلك الاكثار من أعمال البر الأخرى والاستمرار على ذلك.

تاسعاً: ينبغي أو يجب على الخطباء والأئمة والوعاظ أن يذكروا الناس بالواجب تجاه هذه الآيات، وكذلك يجب على الوالدين أن يذكروا أبناءهم وأن يلزموهم بالتوبة والعبادات وترك المعاصي والمخالفات.. وكذلك ينبغي على الجميع التحدث بمثل ذلك والتذكير بالله عز وجل في المجالس ووسائل الاتصال المختلفة، وكم في ذلك من أجر لمن يقوم به، فلابد أن يعم الخير ويضمحل الشر. نسأل الله ان يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يرزقنا توبة نصوحا إلى أن نلقاه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

المقدمة ٥
التمهيد ١١
المطلب الأول: الحكمة من الآلام والابتلاءات في الدنيا: ١٢
المطلب الثاني: الآلام أقل من العافية: ١٤
المبحث الأول: ١٧
المطلب الأول: الحكمة من الزلازل الخفيفة: ١٩
المطلب الثاني: الحذر من الغرور، والأمن من عذاب الله: ٢٣
المطلب الثالث: خطورة عدم الخوف من التحذيرات التي ترسل: ٢٤
المبحث الثاني: أهم الذنوب التي تسبب العقوبات ٢٩
تمهيد: العقوبات سببها الذنوب: ٣١
المطلب الأول: ظهور المعازف والمغنيات وشرب الخمور: ٣٤
المطلب الثاني: انتشار الربا وكثرة الزنا: ٣٦
المطلب الثالث: عمل قوم لوط: ٣٧
المطلب الرابع: الظلم: ٤٢
المطلب الخامس: الحكم بغير ما أنزل الله: ٤٦
المطلب السادس: الترف وما يترتب عليه من الإسراف والبطر والفسق: ٤٩
المطلب السابع: ظهور الزندقة والإلحاد: ٥١
المطلب الثامن: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٥٣

المبحث الثالث: ما يجب على المسلم عند حصول الزلازل وغيرها من الآيات ٥٩
المطلب الأول: التوبة: ٦١
المطلب الثاني: الصدقة: ٦٧
المطلب الثالث: الدعاء والتضرع والاستغفار: ٧١
المطلب الرابع: الصلاة عند حدوث الزلزال: ٧٣
الخاتمة والخلاصة: ٨٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com